العيد للجميع ...

قصة بقلم علي بدور

ـ ما له اليوم ؟ انه يبدو فرحا اكثر من كل يوم ؟..

سالت سعاد نفسها هذا السؤال ، ولكنها لم تستطع الاجابة عليه ، كانت منهمكة ، في صنع الحلوى واعداد المائدة ... حتى انها خابرت زوجها ثلاث مرات :

ـ اياك ان تنسى الشموع يا فريد .. الشموع الملونة اياك ان تنساها !

وعادت تسأل نفسها وهي تعد كعكة العيد الرئيسية وتحضر عناصرها :

ـ ترى ما شعور فريد اليوم ، بعيد سامي ؟...

وفجاة علا صراخ سامي من الغرفة المجاورة ، فتركت عدة الكعكة الرئيسية التي كانت تعدها لنار الفرن ، وهرعت الى السرير .

كان سامي في السرير ، يا له من شيطان ، كان يتحرك باستمرار ، ها هي اربع سنوات قد مرت ، وهو لا يزال يتحرك باستمرار ، حتى في النوم ، وهالها ان تجده ، وقد خلع اكثر ثيابه ، لعله يريد ان يرتدي سترته الجديدة ، تلك التي اشترتها ... هذا اليوم ، لهذه المناسبة السعيدة في حياته ، وضمت السيدة سعاد وحيدها سامي ،بحنو لا يصور ، وأوشكت ان تنهمر دموعها .. اغتباطا منها بهذا العيد السعيد .

وخطر لها ان المائدة التي توشك ان تمتلىء بالكعك والشموع والمآكل اللذيذة ، ينبغي ان تعد لهاالكعكة الرئيسية ، فالهت سامي بقطع من السكاكر ومضت الى المطبخ تكمل صنعها ، ، وتلقي نظرة على الشرائط الملونة والفوانيس السحرية التي عمرت بها غرفة الطعام .

كانت الساعة توشك ان تبلغ السادسة .. وفي السابعة ، سيحضر زملاء سامي . لقد اخبرتهم جميعا بالهاتف .. هم والامهات سوف يحضرون ، سيعاونون سامي في اطفاء الشموع وسيفرحون كثيرا ولا شك، وقد يبكي بعضهم ، ولكنهم على العموم سوف يسرون كثيرا بعيد ميلاد سامي وعيد الطفل .. فلقد جمعتهما الصدف في يوم واحد . لعله الحظ الحسن ولا شك ؟

واقبل فريد ، حاملا الشموع ، والورود ، وبعض اللوازم التي لا بد منها في مثل هذا اليوم ، ولكنه كان منقبضا . واستقبلته سعاد بابتسامة الزوجة المخلصة وخطر لها ان تساله ولكنها امسكت ، وقال فريد ببطء ظاهر :

ـ ارجو ان تكوني مستعدة للحفلة !

ـ كل الاستعداد يا فريد .. لم يبق الا الكعكة ، ولسوف تنضج عما قريب . ولكن ارجو ان تساعدني في اعداد المائدة .

فأجابها دون ان ينظر اليها : :

ـ ترتيب المائدة ! نعم ، سوف اعينك ولا شك ، ولكن سامي ، اين سامي ؟

فردت عليه سؤاله وقد اوشك القلق ان يحتويها :

ـ سامي ! انه في غرفة النوم يا فريد . لقد تركته منذ هنيهة يلعب ، ويتأمل سترته الجديدة المعلقة ، حاول ان تلبسه اياها ، ولكن لا تنس ان تأخذ منه قطع السكاكر ريثما اعد الكعكة .

مضى فريد الى غرفة النوم ، وكان سامي مستلقيا على السرير ، وقدماه على المخدة ، ورأسه في اسفل السرير ، وقطعة سكاكر بين اصابعه، يمتصها بهدوء ، وقد تعرى من اكثر ثيابه .. حتى الداخلية منها . وكان يدمدم باغنية ويترنم بها ، لعله ـ والعيد عيده ـ لم يطق الانتظار للساعة السابعة ، فابتدأ بنشيد العيد ، متخذا من سريره ، مسرحه المفضل . وما ان لمح اباه يدخل عليه حتى ابتدره صائحا :

ـ بابا .. بابا .. العيد ، سترتي الجديدة ....

ومد اصابعه العشرة مشيرا الى السترة .. يريد ان يرتديها ، فطمأنه والده فريد :

ـ انها سترتك يا حبيبي ، ولسوف البسك اياها ، وسيكون عيدا رائعا ، قم يا حبيبي وارتد سترتك الجديدة .

وبدا فريد بالباس سامي سترته ، كانت سترة زاهية ، كانت تعكس في عيني سامي الطفل ، معنى العيد .. عيد ميلاده الرابع ، بالاضافة الى ما توحيه نضارة الطفولة في نفس ابيه من مقدرة على الصمود في وجه خطوب الحياة . ان الطفولة معين لا ينضب يذكي في نفوسنا الحماسة ويزودنا بالدروس البليغة ويجعل للحياة في نظرنا قيمتها الخلاقة المبدعة ، تلك التي تمدنا بالشجاعة ، لنزيدها جمالا ، ونحافظ على النقاء والطهارة المنبعثة منها دوما .

وفيما كان فريد ،خاضعا لمثل هذه الافكار الدقيقة السامية ، سمع زوجته وهي تناديه من غرفة الطعام . كانت قد بدأت بترتيب المائدة ، حيث نثرت الزهور منسقة اياها ، وكذلك الشموع ، ولم يبق الا ان تمتلىء المقاعد ، ويعلو ضجيج المحتفلين بالعيد ، فسعى اليها وهو يشعر أن المناسبة قد آنتكي يحدثها . انه يريد ان يصارحها ، لن يستطيع حضور حفلة الطفل ، ان هناك واجبا مقدسا ينتظره في الساعة السابعة مساء . بعد نصف ساعة يجب ان يذهب ، يجب عليه ان يؤدي واجبه نحو وطنه ، وابتدرته زوجته متسائلة :

ـ ألا تريد ان تغير سترتك ، قد يحضر بعض الضيوف ، اريدك انت ايضا ان تعتبره عيدك . ان عيد سامي ، عيدنا جميعا ... أليس كذلك ؟

ـ نعم .. انه عيدنا جميعا ، ولكن ..؟

ـ ولكن ... ماذا هناك يا فريد .. تكلم !

ـ انني لا استطيع حضور هذا الحفل ، لقد ابلغوني اليوم انني مدعو لقيادة المقاومة الشعبية وفي تمام الساعة السابعة ـ بعد نصف ساعة ـ يا سعاد ـ ينبغي ان اكون هناك ، وفي اللباس الرسمي .

ولعلها وقد تبددت مخاوفها دفعة واحدة ، حاولت ان تستوضح منه بعض النقاط الغامضة التي لم تفسرها اشارة فريد الموجزة :

ـ وكيف حصل ذلك كله اذن ؟

ـ ان الموقف جد دقيق والاعداء يتربصون بنا ، ان اسرائيل والمستعمرين يتآمرون علينا ، لم تعجبهم خطوة سورية الاخيرة في توكيدها لاستقلالها ، وافلاتها من طوق الاستعمار فنشروا ضدها الدعاية الكاذبة ، والاشاعات العديدة ، وحاولوا تأليب الجيران عليها ، والوضع ينذر بالخطر .

وعادت تسأله من جديد :

ـ والمقاومة الشعبية التي انت عضو فيها ، ماذا ستعمل اذن ؟

ـ كل شيء يا سعاد . فقد اعددنا انفسنا للذود عن حياض الوطن ، ان الجيش له المهمة الاعظم ، الدفاع عن الحدود ، ونحن هنا في الداخل سنحرس ، وسنقاتل اذا لزم الامر ، وسنلهب الارض والسماء على رأس كل من تسول له نفسه الخبيثة مهاجمتنا والنيل من استقلالنا .

ـ ولكن ألا تستطيع ان تبقى ولو نصف ساعة يا فريد .. نصف ساعة فقط .. ان سامي سوف يبكي .. عندما لا يراك بجانبه تعاونه في اطفاء الشموع ، سوف يبكي يا فريد .. وانا كيف تريدني ان استقبل الضيوف ما دمت انت غير موجود ؟

فأجابها ، والثقة تطبع كل كلمة من كلماته :

ـ انك ستصنعين كل شيء ، انني اثق بك يا سعاد . كل ما في الامر انهم يريدوننا في الساعة السابعة ، في مقر القيادة ، سوف يوزعون علينا السلاح ، وسيكلفوننا بالمهام التي ينبغي علينا القيام بها ، انه الواجب يا سعاد .. الواجب المقدس يا عزيزتي .

ومضى فريد مسرعا الى خزانة الثياب ، وبدأ بارتداء سترة المقاومة الشعبية ، وكانت سعاد ـ وهي تحمل سامي ـ ترقبه ولعلها وقد ادركت حقيقة الامر ، من القسمات التي كانت تنطق بكل معاني الفخر والاعتزاز في وجه زوجها .. ادركت للتو أنها اليوم تمر ، بعيدين ، عيد الطفل وعيد الوطن برجاله ... اولئك الذين آمنوا بوطنهم ، وقضيته العادلة ، فنذروا النفس رخيصة في سبيله ، في سبيل حياة سعيدة لاطفاله جميعا ، لابنائه جميعا ، لعزة التاريخ النبيل واشراقة المستقبل المطلة من نافذة الافق الواسعة .

كانت الساعة السابعة الا خمس دقائق ، ان سعاد تستعجل زوجها الذهاب ولكنه كان يقول لها :

ـ ان مقر القيادة بجانبنا ، ولسوف اصل في دقيقتين ، وامامي ثلاث دقائق .. ثلاث دقائق ما رأيك لو قمنا بتجربة الحفلة ؟ سوف اضع الشموع على الكعكة ، سوف أدع سامي ينفخ فيها من روحه وساصفق له ... وستصفقين انت ايضا .. ان احتفالنا بعيده ، سيزيدني حماسة في كل معركة نخوضها ، ضد الاعداء ، اولئك الذين يسفكون دماء الشعوب البريئة .

وقف فريد امام الكعكة الرئيسية التي نضجت توا ، ووقف سامي على الكرسي ، وبجانبه سعاد تنبت السعادة فيها ، وتنمو لحظة اثر لحظة .

كانت اربع شموع تضيء .. ولعلها كانت تضيء لفريد طريق الحياة من جديد . انها تحمل عدة معان سامية ، معنى الطفولة البريئة ، ومعنى التفاني في خدمة الوطن ، واداء الواجب المقدس ، حتى اذا ما اطفأت ثلاث ارواح، اربع شموع ـ قد غرست في تربة الكعكة المقدسة ـ استضاءت الحياة بلهب خالد ، كلهب التضحية ، كصفاء نهر متدفق من ذروات الجبال الشامخة .

عندما غادر فريد داره الى قيادة المقاومة الشعبية ، تلبية للأمر الصادر ذلك اليوم ، كانت الحركة قد اوشكت ان تبدأ في المنزل . لقد اقبل اول الضيوف ، سمير وأمه ، وكانت سعاد وقد انتهت المائدة ، تحاول ان تعبر عن اعز امانيها ، لكل من تلقاه من الناس ، ولكل ما تقع عليه ابصارها . كانت فخورة بشيء مبهم ، لعله ذهاب زوجها لاداء واجبه ، بل لعله ان طفلها لا يزال ينمو بحرية واطمئنان ، في كنف ذلك الاب الذي يستطيع بكل بساطة ان يضحي بنفسه كي تدوم لطفله هذه الطمأنينة ، هذه الاجواء السامية التي يجد فيها الاطفال فرحتهم الكبرى ، للنمو في ظل راية الوطن المقدسة .

ووقفت سعاد برهة وجيزة ، وهي تحدق في وجه طفلها الحبيب ، تتامله بشغف وتسأل نفسها بحرارة قلب مخلص :

ـ رباه .. متى يكبر .. لاراه شابا ، قد تطوع في المقاومة الشعبية كما تطوع ابوه اليوم ، جنديا في معركة الحرية والكرامة والشرف ، معركة القومية العربية من المحيط الى الخليج ؟

وبينما كانت الجلبة على اشدها في غرفة المائدة ، الاطفال يصرخون والامهات يراقبنهم بجذل مفرط في الحلاوة ، كان فريد ومئات .. بل الوف على غراره واقفين امام مبنى القيادة ، يتسلمون السلاح :بنادق، ورشاشات ،وقنابل يدوية ، وذخيرة حية ، وعندما امسك فريد بالبندقية احس لأول وهلة ببرودة الحديد الصلد تسري في عروقه جميعا ولكن سرعان ما تغير شعوره .. فقد احس أن البندقية ، أشبه بشمعة،شمعة لا تضيء الا لهبا ، ولا تصيب الا مقتلا ، في صدور الغاصبين ، وجنود مصاصي دماء الشعوب .

وتمتم فريد وهو يترجم الابتسامة على شفتيه الى الوف المعاني الجميلة ، الحية :

ـ شكرا لله . . شكرا لله الذي جعل ايامنا كلها اعيادا ، اليوم ، عيد الطفل ، عيد سامي ، وعيدي كمواطن . انه عيد العروبة بحريتها الحقة واستقلالها الكامل .

حلب — علي بدور

من الاصدقاء

مجموعات « الاداب »

لدى الادارة عدد محدود من مجموعات السنوات الخمس الاولى من الآداب تباع كما يلي :

	غير مجلدة	مجلدة
مجموعة السنة الاولى	٤٥ ل.ل	٥٠ ل.ل
« « الثانية	٢٥ «	٣٠ «
« « الثالثة	٢٥ «	٣٠ «
« « الرابعة	٢٥ «	٣٠ «
« « الخامسة	٢٥ «	٣٠ «